الفصل الثالث

موضوع السحر من خلال

«قصة موسى – عليه السلام – مع سحرة فرعون»

لقد تناول الشعراوي موضوع السحر من خلال خواطره التي تناولت سورة طه، وذلك حينما استوقفه قول الله تعالى: (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[١]

فهذه الآية تمثل أحد مشاهد قصة موسى – عليه السلام – في مسرح لقائه مع سحرة فرعون في المواجهة التي حدثت بينهما يوم الزينة، ولقد فجرت هذه الآية موضوع السحر عند الشعراوي، وكانت هي مصدر انطلاقه لمعالجة هذا الموضوع، وذلك من خلال النظر في تناول القرآن الكريم لموضوع السحر، فأخذ الشعراوي يستجمع من النص القرآني ما يعضد به أفكاره، ويعالج به مضامينها حول موضوع السحر، وذلك من خلال سور عدة هي: سورة الأعراف، والبقرة، وص، والأحزاب، والأنعام، والجن.

---

[١] سورة طه، الآية: ٦٦.

ولقد استغلَّ الشعراوي هذه القصة في معالجته هذا الموضوع، وذلك من ناحية اتخاذها وسيلة للتأثير في نفوس مريديه، فلقد استشعر بحسه الإعلامي وبإدراكه الواعي لمشكلات مجتمعه أنَّ معالجته لموضوع السحر من خلال هذه القصة[1]، ومن وحي نقد السلبيات الفكرية الاجتماعية حول هذا الموضوع أجدى وأنفع في نفوس الجمهور، وبخاصة لتَفَشِّي هذه القضية بين الناس، وذلك بسبب العديد من الموروثات الاجتماعية المترسخة في نفوس وأذهان الناس.

فانطلق الشعراوي يعالج تلك الأفكار السلبية المتفشية في المجتمع حول موضوع السحر بطريقة غير مباشرة في الوعظ، وكذلك مستخدمًا لطريقة استحضار المقدمات أمام الجمهور المخاطب، والتي تفضي إلى مسلمات ونتائج حتمية في موضوع السحر، معتمدًا في تلك المعالجة على النص القرآني، وضرب الأمثلة

---

[1] من الجدير بالذكر أنه قد سبق الحديث عن السحر في سورة البقرة في آية السحر رقم ١٠٢، غير أن معالجة الشعراوي في سورة طه من الناحية الاجتماعية أقوى وأكثر تركيزًا من خواطره الواردة حول تفسيره لآية السحر في سورة البقرة؛ وذلك ربما لإدراكه مدى التأثير في نفوس الجمهور من وحي المعالجة من خلال قصة موسى مع السحرة عن المعالجة من خلال آية السحر الواردة في سورة البقرة.

الميسرة لتقريب المعنى للجمهور، ومعالجة ما يمس حاجتهم في هذا الموضوع بطريقةٍ سهلة، وذلك من خلال الأفكار التالية:

(أ) الفرق بين المعجزة والسحر.

(ب) ماهية السحر وأنواعه.

(ج) تجسيد الشعراوي لضعف الشيطان.

طبيعة وخواص خلق الجن.

خاصية التَشَكُّل لدى الجن.

ضعف الساحر وبطلان إدعاءاته.

(د) رأي الشعراوي وبعض العلماء في تَعَلُّم السحر.

(أ) الفرق بين المعجزة والسحر:

لقد بَيَّنَ الشعراوي الفرق بين المعجزة والسحر من خلال خواطره حول قصة موسى مع سحرة فرعون، فأشار إلى أنَّ لقاء موسى - عليه السلام - بسحرة فرعون هو لقاء بين الحق والباطل، لقاء بين صاحب المعجزة المُؤَيَّد من السماء (موسى) عليه السلام، وبين أصحاب الباطل من أهل السحر، وحتى يميز الله - تعالى - بين أصحاب

obeikan.com

الحق والباطل فقد «ألهم الله – تعالى – سحرة فرعون هذا الأدب[1] في معركتهم مع موسى، فخيروه بين أن يُلقي هو أو يلقوا هم، والله – تبارك وتعالى – يَحُولُ بين المرء وقلبه، فألهمهم ذلك مع أنهم خصومه وأنطقهم بما يؤيد صاحب المعجزة الخالدة، فقالوا: (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى)[2]»[3]

ويطالعنا الشعراوي على الفرق بين المعجزة والسحر، وذلك من خلال حديثه عن حنكة موسى – عليه السلام – في اختياره أن يُلقي السحرة أولًا. يقول الشعراوي: «إذن لا بُدَّ من شيءٍ يميز عصا موسى كمعجزة عن سِحْر السحرة وشعوذتهم، لذلك اختار موسى أن يُلقي[4] هو آخرًا بإلهامٍ من الله تعالى؛ حتى تلقف عصاه ما يأفكون»[1]

---

[1] لقد ذكر الرازي هنا لطيفة، وهي أن تخير سحرة فرعون موسى – عليه السلام – في الإلقاء هو «حسن أدب منهم وتواضع، فلا جرم رزقهم الله – تعالى – الإيمان ببركته» الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٠/ص٦٤٨.

[2] سورة طه، الآية: ٦٥.

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٢.

[4] لقد أخبرنا القرآن الكريم من تخيير سحرة فرعون موسى – عليه السلام – في أيهم يلقي أولًا، وكذلك أخبرنا القرآن الكريم بأنَّ موسى – عليه السلام – أخبرهم بأن يبدءوا بالإلقاء (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) سورة طه، الآية: ٦٦، بينما ما ورد في العهد القديم أنَّ صاحب العصا هو هارون، وأنَّ الإلقاء تم منه أولًا، وعقبه ألقى السحرة.

obeikan.com

ومما يؤكد كلام الشعراوي في هذا المضمار، ما قاله الزمخشري من أنَّ موسى – عليه السلام – تركهم يلقون أولًا «حتى يُبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه، وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين...»[2]

فالمعجزة هي دليل نبوة من ظهرت على يديه، فكل نبي يستند إليها في دعواه؛ ليؤكد بها على أنه مُبَلِّغٌ عن الله تعالى، وإظهار الله – تعالى – تلك المعجزة على يدي من يرسله نبيًّا إلى البشر، هي تأييد من الله – تعالى – له؛ ولذلك عمد الشعراوي في بداية حديثه عن موضوع السحر، إلى التمييز بينه وبين المعجزة. يقول

فلقد ورد في العهد القديم أنه: «(٨) وكلم الرب موسى وهارون قائلًا: (٩) إذا كلمكما فرعون قائلًا: هاتيا عجيبة، تقول لهارون: خذ عصاك واطرحها أمام فرعون، فتصير ثعبانًا (١٠) فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب، طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانًا (١١) فدعا فرعون أيضًا الحكماء والسحرة ففعل عرَّافوا مصر بسحرهم كذلك (١٢) طرحوا كل واحد عصاه، فصارت العصا ثعابين، ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم» العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح السابع، الآيات: ٨-١٢.

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٢.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص٧١.

الشعراوي: «إنما تميزت عصا موسى - عليه السلام - بأنها تلقف ما يصنعون من السحر، وتتبع حبالهم وعصيهم، وتقفز هنا وهناك، فلها إذن عين تبصر، ثم تلقف سحرهم في جوفها، ومع ذلك تظل كما هي لا تنتفخ بطنها مثلًا، وهذا هو موضع المعجزة في عصا موسى عليه السلام»[1]

لقد استهلَّ الشعراوي حديثه عن موضوع السحر بالتفرقة بين السحر والمعجزة؛ كي يُلْقِي في روع جمهوره الفرق بين فعل الله - تعالى - وهو الحق، وفعل البشر حينما يكون باطلًا، وهو السحر وفنونه، وذلك حتى يميز الإنسان دومًا بين ما هو باطل، وبين ما هو حق، وعلى وجه الخصوص عوام الناس، وذلك كما ذكر الشيخ/ محمد الغزالي في تَفَشِّي الاعتقاد بالسحر لدرجة الهلع والخلط بين قدرة الله - تعالى - وقدرة الساحر الضعيف، من أنَّ «للعامة أوهام كثيرة في هذا الميدان ينبغي الحذر منها»[2] ولهذا السبب رأيت أنَّ الشعراوي قد بدأ بتأصيل هذه الفكرة كقاعدة دينية من خلال النص القرآني؛ لكي ينطلق منها في تناول موضوعه على أساس فكري قويم، يسعى به لتهذيب الشوائب الفكرية لدى الجمهور حول

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٢.

[2] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، سورة الفلق، ص٥٥١.

obeikan.com

هذا الموضوع. ولا يفوتنا في أثناء تناول الشعراوي "التفريق بين المعجزة والسحر" أن نذكر ما قاله الإمام/ محمد عبده في هذا المضمون، يقول أنه «متى ظهرت المعجزة، وهي مما لا يقدر عليه البشر، وقارن ظهورها دعوى النبوة عُلِمَ بالضرورة أنَّ الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة...وأمَّا السحر وأمثاله، فإن سُلِّمَ أنَّ مظاهره فائقة عن آثار الأجسام والجسمانيات، فهي لا تعلو عن متناول القوى الممكنة، فلا يقارب المعجزة في شيء»[1]

وهذا يعني ضرورة التفريق بين فعل المعجزة الخارق للعادة، والذي يكون فعلًا على الحقيقة؛ لأنه من فعل الله تعالى وبين عمل البشر الذي يبدو أنه خارق – وهو السحر – ولكن حقيقته غير ذلك.

(ب) ماهية السحر وأنواعه:

وينتقل بنا الشعراوي إلى معالجة الفرق بين السحر والحيل، ثم تعريفه لماهية السحر، وذلك من خلال خواطره حول قول الله تعالى

---

[1] محمد عبده، رسالة التوحيد، ص١٠٠، ط. مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

(فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[1] يقول الشعراوي: «إذن فحركة العصا والحبال ليست حركة حقيقة، إنما هي تخيل (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ..) فيراها تسعى، وهي ليست كذلك»[2]

ثم يوضح الشعراوي هذه المسألة من خلال النص القرآني، يقول: «وقد قال الله – تعالى – عن هؤلاء السحرة (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ)[3] فجاءوا بأعمال تخيلية خادعة بأي وسيلة كانت، فالبعض يقول مثلًا: إنهم وضعوا بها الزئبق[4]، فلما حميت عليها الشمس تمدد، فصارت الأشياء تتلوى وتتحرك، فأيًّا كانت وسائلهم فهي مجرد تخيلات، أما الساحر نفسه فيراها حبالًا على حقيقتها»[5]

فالشعراوي يرى بأنَّ السحر في أحد أشكاله جماع بين شيئين...«شيء يُخَيَّلُ إليك أنه واقع، وهو ليس بواقع...أي له ظاهر...لا يُعَبِّر عن واقعة، ولا عن حقيقته...فالسحر...تأثيره على العين...فالعين هي التي تُسْحَرُ لترى أشياءً ليست واقعة...ولا هي

---

[1] سورة طه، الآية: ٦٦.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

[3] سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

[4] لقد ذكر الزمخشري: «يروى أنهم لطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت، فخيلت ذلك» الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص٧١.

[5] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

حادثة...إذن فهو خداع النظر...والمادة لا تتغير... وإذا تتبعنا السحر في أبسط قواعده...فهناك سحر يقوم به البشر بقدراتهم...وسحر يستعينون فيه بقوى غير البشر وهم الشياطين»[1]

إذن يرى الشعراوي بأنَّ السحر إمَّا سحر يقوم به البشر أنفسهم دون الاستعانة بالشياطين، وهذا يظهر مما لدى الساحر البشري من تميزه بقدرة فائقة في حاسة من حواسه البشرية، وهذا التميز الذي يفوق قدرة الإنسان العادي يجعل الإنسان العادي يعتقد بحدوث شيء لم يحدث، وبهذا ينجح الساحر في إيهامهم بأنه قد حدث شيء، وهو لم يحدث، ويرى أنَّ هناك نوعًا آخر، وهو السحر الذي يستعين فيه الإنسان بالشياطين؛ وذلك لأنَّ قدرات الشياطين بحكم عنصر خلقتها تفوق قدرات البشر...وأنهم يستطيعون أن يفعلوا أشياء لا يقدر البشر عليها، وليسوا أهلًا لها «إذن من يستعين بالسحر في تسخير الشياطين إنما أخذ قدرة وقوة فوق قوة وقدرة البشر العادي...لذلك يستطيع أن يفعل أشياء لا يقدر عليها البشر»[2]

ومما سبق يتبين لنا تقسيم الشعراوي للسحر إلى نوعين: سحر إنساني، وسحر شيطاني، ويرى أنَّ أقصى صور السحر الإنساني

---

[1] الشعراوي، السحر والحسد، ص٢٤-٢٥، ط. مؤسسة أخبار اليوم.

[2] الشعراوي، السحر والحسد، ص٤٥.

هي التي تصل إلى حد خداع النظر، وسحر العين. يقول الشعراوي: «إذن فالعين تُخْدَعُ بالحركة السريعة..وهذا ما نعرفه في خفة اليد...أو الألعاب السحرية التي يقومون بها..معتمدين على سرعة حركة اليد...فيخدعون العين ويبدو وكأنهم يأتون نوعًا من السحر..وإذا كانت هذه هي طبيعة خفة اليد في أبسط صورها...فإنها في أعلى صورها تخيل وسحر للعين، وليس واقعًا حقيقيًّا»[1]

ولذلك عَدَّ الشعراوي أنَّ ما جاء به السحرة هو «أعمال تخيلية خادعة»[2] وما ذهب إليه من كونه سحر تخييل، فقد وردت قراءات تخدم هذا المعنى في هذه الآية التي هو بصدد تفسيرها، واعتمد عليها الشعراوي في خواطره دون ذكرها. فقد قرئ قوله تعالى: (تُخَيَّلُ)[3]، (تُخَيِّلُ)[4]، «فروى ذكوان بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون

---

[1] الشعراوي، السحر والحسد، ص٢٦-٢٧.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

[3] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج٢/ص٣٨٨، ط. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق: علي الجندي ناصف ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

[4] ابن خالويه، مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، ص٩١، ط. مكتبة المتنبي القاهرة.

obeikan.com

بالياء على التذكير»[1] وبالتالي فمن قرأها بالتاء فهي بمعنى «تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى»[2] ومن قرأها بالياء، وبها قرأ عامة قراء الأمصار، فهي تعني «تخيل إليهم سعيها»[3]

ولا بُدَّ أن أشير إلى أنَّ كثيرًا من آراء الشعراوي تعود في جوهرها إلى قراءات متعددة، غير أنه – فما تتبعته من خواطره حول القرآن الكريم – يندر أن يستشهد بقراءات في تفسيره.

وإذا كان الشعراوي قد انتهى إلى أنَّ سحرة فرعون قد جاءوا بأعمال تخيلية خادعة للنظر، إلا أنَّ ابن عطية قد رأى بأنهم قد جمعوا في سحرهم بين السحر الشيطاني والسحر الإنساني المتمثل في الحيل والخدع. فيقول في ذلك: إنَّ «الظاهر من الآيات والقصص في كتب المفسرين أنَّ الحبال والعصي كانت تنتقل بحيل الحر، وبدس الأجسام الثقيلة المياعة فيها، وكان تحركها يشبه تحرك الذي له إرادة كالحيوان، وهو السعي، فإنه لا يوصف بالسعي إلا من يمشي من الحيوان»[4]

---

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج٢/ص٢٤٤.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ص٤٣٤.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ص٤٣٣.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤/ص٥١.

ثم يُفرِّقُ الشعراوي بين السحر والحيل، وهو يعني بالسحر هنا الذي يستعين فيه البشر بالشياطين، فهو يُفَرِّقُ بينه وبين الحيل من خلال النص القرآني، مستدلًا على ما يقوله بما ورد في سورة البقرة. يقول الشعراوي: «والسحر يختلف عن الحيل التي تعتمد على خفة الحركة والألاعيب والخدع، فالسحر أقرب ما يكون إلى الحقيقة في نظر الرائي كما قال الله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...)[1]»[2]

ونجد البيضاوي يوضح لماذا أُطْلِقَ على الحيل والخدع وخفة اليد سحرًا، يقول: «وأمَّا ما يُتَعَجَّبُ منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، أو يريه صاحب خفة اليد، فغير مذموم تسميته سحرًا على التجوز، أو لما فيه من الدقة؛ لأنه في الأصل لما خفي سببه»[3]

وكما رأينا فقد فَرَّقَ الشعراوي بين السحر الشيطاني والسحر الإنساني المتمثل في الحيل وخفة اليد والخدع، ويرى البيضاوي بأنَّ

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

[3] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١/ص٧٣.

obeikan.com

تسمية هذا النوع الثاني سحرًا هو من باب التجوز أو لدقة صنعة هذا السحر وخفاء سببه على المسحورين، ولكن سنرى أنَّ هناك عددًا من العلماء يُصَنِّفُ الألاعيب والخدع من ضمن أنواع السحر، ونرى البعض الآخر لا يرى السحر إلا ألاعيب وخدع فقط.

وانتهى الشعراوي إلى أنَّ السحر عِلْمٌ له قواعد وأصول. يقول: «السحر فن يُتَعَلَّمُ، يعطي التخييل بواسطة تسخير الجن، فهم الذين يقومون بكل هذه الحركات، فهي – إذن – ليست حيلًا، ولا خفة حركة، إنما هي عملية لها أصول وقواعد تدرس وتتعلم»[1]

ونجد تشابهًا كبيرًا بين تعريف الشعراوي للسحر وتعريف الأصفهاني، فلقد صنف الأصفهاني السحر على ثلاثة أنواع، ذكر الشعراوي منها نوعين فحسب، ولم يذكر النوع الثالث الذي لم يُقِرُّه العلماء، واعترض عليه كثير منهم. فمما قاله الأصفهاني في تعريف السحر: «والسحر يقال على معانٍ؛ الأول: الخِداعُ وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه،

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

الثالث: ما يذهب إليه الأغتام[1] وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حمارًا، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين»[2]

ويمكننا القول أنَّ الشعراوي قد تأثر بالأصفهاني في تعريفه للسحر، غير أنه انتقى من تعريفه ما يمس حاجة الجمهور المخاطب، ولذلك فإنه قد ترك المسائل الخلافية التي من شأنها أن تثير جدلًا بين العامة، وطرح مثلها لا يقود في كثيرٍ من الأحيان إلى حسن عاقبة، فهو يأخذ ويوظف ويختار من آراء العلماء ما يفي ويناسب حاجة واستيعاب الجمهور، ولهذا نجد الشعراوي يطوي صفحًا الآراء التي لم يقرها السادة العلماء، وإن ذكرها يذكرها في شكلٍ خاطفٍ سريع.

فالنوع الثالث الذي ذكره الأصفهاني لم يُشر إليه الشعراوي في معرض حديثه السابق عن كينونة السحر، وذلك من خلال تناوله موضوع السحر أثناء خواطره حول قصة موسى – عليه السلام – مع سحرة فرعون في سورة طه، بينما أشار إلى هذا النوع الثالث الذي

---

[1] غ ت م: (الغُتْمَةُ) العُجمة و(الأغْتَم) الذي لا يفصح شيئًا، والجمع (غُتْم) ورجل (غُتْمِي)، الرازي، مختار الصحاح، ص٤٤٤، ط. المكتبة العصرية، بيروت.

[2] الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٠٠-٤٠١.

ذكره الأصفهاني في تناوله لسورة البقرة عند تفسيره لآية السحر، فقد عَلَّقَ الشعراوي ناقدًا من خلال هذه الآية على من يقول بأنَّ السحر يغير طبيعة الأشياء، بأنَّ هذا القول مرفوض، واستدلَّ على ذلك بأنَّ عصا موسى – عليه السلام – المعجزة قد تحولت من عصا إلى حية تلقف ما يأفكون بأمر الله – تعالى – ولو كان سحر سحرة فرعون حقيقة لعادت حياتهم إلى عصا «ولذلك سجد السحرة؛ لأنهم عرفوا أن معجزة موسى ليست سحرًا...ولكنها شيء فوق طاقة البشر»[1] وفي هذا ذكر الخازن أنَّ سحرة فرعون أخذوا يتدبروا هذه الآيات البينات، فكان استدلالهم على صدق موسى – عليه السلام – ومعجزته أنهم «قالوا: لو كان هذا سحرًا، فأين حبالنا وعصينا»[2] وعلى هذا يرى الشعراوي بأنَّ السحر لا يستطيع تغيير الأجسام، لكنه يعتمد على التخييل.

وهكذا أشار الشعراوي في عجالة إلى قضية أنَّ السحر لا يستطيع تغيير الأجسام، ولكن لم يُطِلْ في تناوله لهذه المسألة، فقد ترك الخوض فيها درءًا لبلبلة الجمهور، وهنا لمحة تعليمية مهمة لكل القائمين بالدعوة إلى الله – تعالى – من خلال أجهزة الإعلام،

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١/ص٥٠٥.

[2] الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٢/ص٢٤٣.

بضرورة انتقاء المادة العلمية، وترك ما لا يهم الجمهور، فما يُثار في أروقة المعاهد العلمية المتخصصة لا بُدَّ وأن يُنَقَّحَ ويُنْتَقَى منه قبل إلقائه على العامة، وتلك قضية خطيرة غفل عنها عدد من الدعاة إلى الله – تعالى – بينما وجدت الشعراوي متنبهًا لها.

وهكذا فقد أوضح الشعراوي ماهية السحر، ورأينا كيف توصل إلى معناه من خلال النص القرآني، وكيف تأثر في تحديد تعريفه بالأصفهاني – الذي يُعده بعض الباحثين في مناهج التفسير – أنه من بواكير نماذج التفسير الموضوعي للكلمة القرآنية.

وقبل أن نكمل المسيرة مع موضوع السحر عند الشعراوي من خلال تفسيره لسورة طه، وذلك في قصة موسى – عليه السلام – مع سحرة فرعون، رأيت أن أعود لتعريفات المفسرين للسحر، فقد وجدتُ الطبري قد أشار في تفسيره إلى اختلاف العلماء في ماهية السحر. يقول: «فقال بعضهم: هو خدع ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر، حتى يُخَيَّلَ إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به...وقال آخرون: بل السحر أَخْذٌ بالعين»[1]

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١/ص٥٠٥-٥٠٦.

أما من مدرسة التفسير الاعتزالي نجد الزمخشري يصف السحر بأنه في نفسه ليس له تأثير، ولذا ذكر أنه يتكون من «حيلة وتمويه ونفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفِرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه، لا أنَّ السحر له في نفسه، بدليل قوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)[1]؛ لأنه ربما أحدث الله فعلًا من أفعاله، وربما لم يحدث»[2]

فمذهب المعتزلة أنَّ السحر لا حقيقة له ولا تأثير، وبالتالي فهم يرونه عبارة عن حيل وألاعيب فحسب.

ونجد من مدرسة التفسير بالمأثور البغوي يتفق ورأي المعتزلة في أنَّ السحر عبارة عن خدع وتخييل، فنراه يُعَرِّفُ السحر قائلًا: «قيل معنى السحر: العلم والحذق بالشيء، قال الله تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)[3] أي العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل...»[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج١/ص١٧٣.

[3] سورة الزخرف، الآية: ٤٩.

[4] البغوي، معالم التنزيل، ج١/ص٦٣.

ونجد من مدرسة التفسير الشيعي الطبرسي من يُنْكِرُ كذلك مثل المعتزلة وجود السحر على الحقيقة، ويُعَلِّقُ عليه الشيخ/ الذهبي قائلًا: إنَّ «الطبرسي ينكر حقيقة السحر، ولا يقول به، ويخالف جمهور أهل السنة في ذلك، ويرد أدلتهم، وينكر حديث البخاري في سحر[1] رسول الله ﷺ»[1]

---

[1] لقد أنكر الطبرسي الأخبار الواردة حول أنَّ النبي ﷺ قد سُحِرَ، وأدلى بدلوه في هذا المضمار معتمدًا على النص القرآني في رد هذه الأخبار، ولقد تبعه في هذا الرأي محمد عبده، ولكن بشيء من الجرح والتعديل في سند هذا الحديث كما سنرى. يقول الطبرسي: «فأمَّا ما رُوِيَ من الأخبار أنَّ النبي ﷺ سُحِرَ، فكان يرى أنه فعل ما لم يفعله، وأنه لم يفعله ما فعله، فأخبار مفتعلة لا يلتفت إليها، وقد قال الله سبحانه وتعالى حكايةً عن الكفار (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) سورة الإسراء، الآية: ٤٧، فلو كان للسحر =عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي ﷺ من كل صفة نقص تنفي عن قبول قوله، فإنه حجة الله – تعالى – على خليقته وصفوته على بريته»،الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١/ص٢٦٢.

ومن المدرسة العقلية في التفسير في العصر الحديث ينكر الإمام/ محمد عبده صحة مثل تلك الأخبار، ولكنه يَقْصُر السحر في هذه الأخبار على مسألة مباشرة النساء، وذكر الإمام/ محمد عبده أنَّ أكثر العلماء فهموا حديث سحر النبي ﷺ على أنه سُحِرَ سحرًا أثَّر في عقله، كما أثَّر في جسده، وذكر بأنَّ هذا مخالف للقطعي في النقل، وذكر أنه توهم بعض رواته ما هو أعم من المعنى الخاص الذي أرادته منها، وهو مباشرة الزوجية بينه ﷺ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها، ولقد أكد على ذلك بأنه لا يجوز أن يدخل فيه شيء من أمور التشريع، محمد رشيد

obeikan.com

ولذلك نجد الطبرسي حينما عَرَّفَ السحر أدرج تحته كل أنواع الحيل والكهانة والألاعيب دون استثناء. يقول الطبرسي: «والسحر والكهانة والحيل نظائر يقال سحره يسحره سحرًا»[2] ولقد أورد الطبرسي كغيره من المفسرين آراء العلماء في ماهية السحر وأقسامه.

=رضا عن محمد عبده، تفسير الفاتحة وبعض قصار السور، راجع النص ص١٣٨، ط. المطبعة المنيرية، لمحمد منير الدمشقي.

ثم قال الإمام/ محمد عبده: «وبينتُ أيضًا أنَّ الرواية في أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشان عن أبيه – عروة بن الزبير – عن عائشة فيها علة من علل الحديث الخفية التي يشترط في صحة الحديث السلامة منها، وهي أنَّ بعض منكري الحديث أعلوه بهشام هذا، وألَّفَ بعضهم كتابًا خاصًّا فيه محتجًّا بقول بعض علماء الجرح والتعديل، إنه كان في العراق يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره، وعروة هو راوية عائشة الثقة وهي خالته، وقال ابن خراش: كان الإمام/ مالك لا يرضاه يعني هشامًا، وقد نقم فيه حديثه لأهل العراق» محمد رشيد رضا عن محمد عبده، تفسير الفاتحة وبعض قصار السور، ص١٣٨-١٣٩.

قال الإمام/ الرازي: «وبالجمة فالله – تعالى – ما كان يُسَلِّطَ عليه – أي على نبيه ﷺ – لا شيطانًا ولا إنسيًّا ولا جنيًّا يؤذيه في دينه وشرعه ونبوته، فأمَّا في الإضرار ببدنه فلا يبعد» الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٦/ص٧٨٨.

ويعني الرازي أنَّ النبي ﷺ قد سُحِرَ في جسده لا في عقله، ومن هنا لا قدح في نبوته، ولا ما يتصل بها من شرع الله – تعالى – ودينه.

[1] د/ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢/ص١٠٠.

[2] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١/ص٢٥١.

obeikan.com

ومن مدرسة التفسير بالرأي نجد الإمام/ الرازي قد صنف السحر إلى ثمانية[1] أقسام، ويمكن ضم بعضها، ووضعه تحت قسم واحد، وقد جمع في هذه الثمانية جميع ما قاله العلماء من أصناف السحر، فمما ذكره الرازي من أقسام السحر: «الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن...وكذلك من السحر التخيلات والأخذ بالعيون...فالمشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يُشْغِلُ أذهان الناظرين

---

[1] أقسام السحر الثمانية عند الرازي هي:
الأول: سحر الكلدانيين؛ والكدانييون الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسية، وهم الذين بعث الله – تعالى – إبراهيم – عليه السلام – مبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذاهبهم...النوع الثاني من السحر: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية...النوع الثالث من السحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية...النوع الرابع من السحر: التخيلات والأخذ بالعيون...النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى...النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة...النوع السابع من السحر: تعليق القلب، وهو أن يَدَّعِي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأنَّ الجن يطيعونه، وينقادون له في أكثر الأمور...النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة والتغريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك شائع في الناس، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر، وشرح أنواعه وأصنافه، والله أعلم.
الرازي، مفاتيح الغيب، ج١/ص٢٨٠-٢٩٠.

به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديث نحوه عمل شيئًا آخر بسرعة شديدة، فيبقى ذلك العمل خفيًّا لتفاوت الشيئين؛ أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني: سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني، وحينئذٍ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جدًّا»[1]

ولقد أورد ابن كثير الأنواع الثمانية للسحر الذين ذكرهم الرازي، ثم عقب عليهم قائلاً: «قلت: وإنما أدخل كثيرًا من هذه الأنواع في فن السحر للطاقة ومداركها؛ لأنَّ السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه، ولهذا جاء في الحديث: إنَّ من البيان لسحرًا»[2]

ونجد القرطبي يقر بوجود السحر، ويرى أنه «حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء على ما يأتي، ثم من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة، والشعوذي: البريد لخفة سيره قال ابن فارس في المجمل: الشعوذة ليست من كلام أهل البادية، وهي خفة في اليدين، وأخذة كالسحر، ومنه ما يكون كلامًا يحفظ، ورقي من أسماء الله

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١/ص٢٨٨.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/ص٢١٢.

تعالى، وقد يكون من عهود الشياطين، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك»[1]

ويرد القرطبي على من يزعم – على حد تعبيره – أنَّ السحر خدع ومخاريق وتمويهات وتخييلات، أنه لو كانت كذلك «لم يجب على أصله قتل الساحر–وهو يعني من قبل ولي الأمر أي الدولة وليس لآحاد الناس فعل ذلك– إلا أن يقتل بفعله أحدًا، فيقتل به»[2] ولعله يرد على المعتزلة، وبعض من أهل السنة الذين يعتقدون بأنَّ السحر عبارة عن مخاريق وخدع، وأنه لا حقيقة له في نفسه.

ويذكر البيضاوي في ماهية السحر أنه «ما يُستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان، وذلك لا يُستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة، وخبث النفس، فإنَّ التناسب شرط في التضام والتعاون، وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي»[3]

ومن مدرسة التفسير في العصر الحديث نجد الإمام/ محمد عبده قد نظر نظرة كلية في النص القرآني، واستخلص منه أنَّ

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١/ص٥٤١.
[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١/ص٥٤١.
[3] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١/ص٧٣.

obeikan.com

«مجموع هذه النصوص يدل على أنَّ السحر إما حيلة وشعوذة، وإمَّا صناعة خفية يعرفها بعض الناس، ويجهلها الأكثرون، فيسمون العمل بها سحرًا؛ لخفاء سببه، ولطف مأخذه، ويمكن أن يُعد منه تأثير النفس الإنسانية في نفس أخرى لمثل هذه العلة»[1]

لذا يرى الإمام/ محمد عبده أن السحر في ذاته لا حقيقة له، وأنه عبارة عن خدع وتمويهات يأتي بها الساحر، ونظرًا لخفاء سببها سُمِّيَ صنيعه سحرًا، ولهذا يرى د/ الذهبي أنَّ محمد عبده تبع في موضوع السحر آراء المعتزلة، وهاجم الذهبي آراء محمد عبده في موضوع السحر، وقال: «إنا نجده يخالف رأي جمهور أهل السنة، ويذهب إلى ما ذهب إليه المعتزلة من أنَّ السحر لا حقيقة له»[2]

وتلكم هي آراء بعض المفسرين على اختلاف مدارسهم التي ينتمون إليها في التفسير، في توضيحكم لماهية السحر، ولقد سقتها حتى يكون هناك تصورًا عامًّا عن مجمل آرائهم في هذا الموضوع، وتكون نظرتنا للشعراوي أثناء تحليل كلامه تخضع لمرجعية علمية

---

[1] تفسير المنار، ج١/ص٣٣٠.

[2] د/ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢/ص٤٢٠.

في هذا المضمار، ولا ننكر أنَّ الشعراوي قد استقى من جملة هذه الآراء آراءه، غير أنه انتهى إلى أنَّ السحر نوعان: سحر شيطاني وسحر إنساني، ويكون بذلك قد جمع بين من يرى أنَّ السحر هو استجلاب معاونة الشيطان، وبين من يقول أنَّ السحر هو خدع وخفة يد وألاعيب.

ولعلنا بعد هذا العرض انتهينا إلى مجموعة من النتائج والآراء حول كينونة السحر وماهيته عند السادة العلماء، فلقد اتفق العلماء على وجود السحر، بينما اختلفوا في ماهيته، فذهب جمهور العلماء إلى أنَّ السحر حقيقة، وأنه تقتدر به النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، ويرى المعتزلة وبعض أهل السنة أنَّ السحر لا حقيقة له، وإنما هو خداع وتمويه وتخييل وخفة يد، وإمَّا هو المواطأة أو السعي بالنميمة، ولا يرى هذا الفريق أنَّ الساحر يقدر على شيء مما يثبته له الآخرون من التأثير في الأجسام الأخرى، وكما رأينا أنَّ الشعراوي في تعريفه قد جمع بين الرأيين تابعًا في ذلك تعريف الأصفهاني للسحر في مفرداته.

(ج) تجسيد الشعراوي لضعف الشيطان:

وبعد أن أوضح الشعراوي ماهية السحر، نجده ينسلخ بمعالجة فكرة معينة، ويبسط فيها القول؛ كي يخدم بمعالجتها أغراضًا

اجتماعية مهمة ألا وهي محاولته هدم فكرة تسلط الجن على الإنسان، وذلك بطريقة غير مباشرة ومشوقة، وأراه تناولًا جديدًا يتناسب والمجال الإعلامي، الذي يعتمد في كل ما يقدمه على الإثارة والتشويق، حتى فيما يعرضه من معلومات تعود بالنفع على المجتمع.

والشعراوي بفطنته الإعلامية يوظف المعارف بأسلوب جيد، يجني من ورائه ثمارًا طيبة، وذلك عن طريق توجيه الجمهور السليم في مثل تلك الموضوعات الشائكة والمترسخة في أذهان الملايين من الشرقيين.

فنراه ينطلق من فكرة أنَّ الخالق عز وجل «حينما يعرض علينا قضية السحر، وأنه عبارة عن تسخير الشياطين لخدمة الساحر بالسحر، والشياطين بما لديهم من قوة التشكل في الأشكال المختلفة والنفاذ من الحواجز؛ لأنَّ الجن خُلِقُوا من النار، والنار لها شفافية تنفذ خلال الجدار مثلًا، أمَّا الإنسان فخُلِقَ من الطين، والطين له كثافة»[1] ثم يأتي بعدد ذلك بمثلٍ ميسرٍ لهذا الكلام العلمي السابق؛ وذلك حتى يتمكن الجمهور من استيعابه، وهذا في سعي منظم للمضامين التي يعرض لها، وأول مضمون هنا هو محاولة توضيحه لوهن كيد الشيطان، وبالتالي وهن كيد السحرة الذين يلجئون إليهم

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣.

في أعمال السحر. يقول الشعراوي: «وضربنا مثلًا لنُقَرِّب هذه المسألة، قلنا: هب أنك تجلس خلف جدار، ووراء هذا الجدار تفاحة مثلًا وهي من الطينية المتجمدة، أيصل إليك من التفاحة شيء! بينما لو خلف الجدار نارًا، فسوف تشعر من خلال الجدار بحرارتها، هذه – إذن – خصوصيات جعلها الخالق عز وجل للشياطين فضلًا عن أنهم (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)[1] »[2]

إنَّ لجوء الشعراوي في تفسيره إلى استخدام الأمثلة الميسرة للمضامين العلمية الصعبة على عامة الجمهور تُعد أحد وسائل الشعراوي المهمة والأساسية في تفسيره، وتوظيف المثل الميَسِّر للمعلومة في التفسير يُعَد وسيلة دعوية ناجحة ومؤثرة، ولقد انتهى الشعراوي – في الفقرة السابقة – إلى أنَّ لكل مخلوق طبيعة خاصة به، ثم زاد هذه المعلومة بمثلٍ توضيحي، واتجه بعد ذلك إلى تصوير وتجسيد ضعف الجن. يقول الشعراوي: «من لطف القدير بنا أن جعل لنا ما يحمينا من الشياطين، فجعل الحق – تبارك وتعالى – الجن حين يتشكلون في الأشكال المختلفة تحكمهم هذه الأشكال، بمعنى لو أنَّ الشيطان تشكل لك في صورة إنسان، فقد حَكَمَتْهُ هذه الصورة، فلو أطلقت عليه الرصاص في هذه اللحظة لقتلته فعلاً»[3]

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٣-٩٣١٤.

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٤.

ولقد كان هذا التحليل السابق من الشعراوي لمسألة تشكل الجن وخضوعه لقانون الصورة المتشكل فيها، تمهيدًا منه حتى يطالع الجمهور بهذه النتيجة وهي «لذلك، فالشيطان يخاف منك أكثر مما تخاف منه، ولا يظهرون لنا إلا ومضة ولمحة سريعة، خوفًا أن يكون الرائي له على علم بهذه المسألة، فيمسك به وساعتها لن يفلت منك»[1]

ويمكننا القول بأنَّ هذا الوصف من الشعراوي يُعد جديدًا، ولم يصادفني فيما تعرضت له من التفاسير، وهذه الطريقة في الشرح تحمل في طياتها بعدًا اجتماعيًّا مهمًّا، وهو محاولته إشعار الجمهور المخاطب بضعف الجن، وعدم سلطانه على الإنسان، وكذا محاولة الشعراوي لصرف الناس بطريقة غير مباشرة عن الإفراط في الخوف من الجن، وبالتالي من السحر والسحرة، ووضع نمط فكري سليم، على أساس من المنطق الواضح، الذي لا يشوبه خلل، مدعمًا ذلك بالشواهد القرآنية والنبوية ومُحَلَّى بالأمثلة التوضيحية، فقد استحضر الشعراوي في هذه المعالجة شاهدًا نبويًّا؛ لكي يؤكد به المضمون السابق، وهو ضعف الشيطان، ولا يخفى علينا تَدَرُّجه الجيد في عرضه لفكرة ضعف الجن، وخَوَرِهم في موضوع السحر،

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٤.

فلقد لاحظنا كيف يجيء الشعراوي في اللحظة المناسبة من الناحية النفسية؛ ليدخل من خلالها إلى قلوب الجماهير فيؤثر فيهم، وتلك المداخل من الشعراوي حيوية ومؤثرة، وكذلك هو سعي منه في جدٍ ولين لمعالجة أفكاره، وهو توغل انسيابي في تناول الموضوع من جهاتٍ عدة، فلكي يستدل على ضعف الجن استحضر الشاهد النبوي التالي: يقول الشعراوي: «أمسك النبي ﷺ شيطانًا، وقال: «لقد هممتُ أن أربطه بسارية المسجد، يلعب به غلمان المدينة، إلا أنني ذكرت دعوة أخي سليمان: (هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)»[1] »[2]

وحول إمكانية رؤية الجن التي أشار إليها الشعراوي، نجد ابن حجر العسقلاني في شرحه للخبر النبوي السابق يقول: «هل

---

[1] وأصل النص وسنده هو «حدثني محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: إنَّ عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) فرددته خاسئًا» ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، =حديث ٣٤٢٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)، ج١٠/ص١٧٧.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٤.

obeikan.com

يستطيع غير الأنبياء رؤية الجن؟ واستدل الخطابي بهذا الحديث عن أنَّ أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تعرفهم، قال: وأمَّا قوله تعالى: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم.

ونُعَقِّبُ بأنَّ نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية، بل ظاهرها أنه ممكن، فإنَّ نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، ويحتمل العموم، وهذا الذي فهمه أكثر العلماء، حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية والله أعلم»[1]

والظاهر من كلام الشعراوي أنه لا يرى بإمكانية رؤية الإنس للجن على هيئتهم الأصلية بدليل استشهاده بالآية ٢٧ من سورة الأعراف، ولأنَّ أكثر العلماء على هذا الرأي كما ذكر ابن حجر العسقلاني.

ولقد عَقَّبَ الشعراوي على الشاهد النبوي بأنَّ الله – تعالى – قد أعطى الجن خاصية التشكل، لكنه سبحانه قيدهم بقانون ما يتشكلون به «إذن الحق سبحانه أعطاهم خصوصية التشكل كما

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٠/ص١٧٨.

يحبـون، إنمـا قيـدهم بمـا يتشـكلون بـه، كأنـه يقـول لـه: إذا تركـت طبيعتك وتشكلت بصورةٍ أخرى فـارضَ بـأن تحكمـك هـذه الصـورة، وأن يتحكم فيك الأضعف منـك، وإلا لفَزَّعُوا النـاس وأرهبـوهم، ولـم نسلم من شرهم»[1]

وأراد من هذا التحليل السابق إظهـار ضـعف شـياطين الجـن في إطـار مـا أسـماه بقـانون التشـكل، الـذي يحكـم الجـن حـين تشـكلهم؛ ولأجلـه خفـف اللّه – تعـالى – عـن البشـر الكثيـر مـن العبـث والفوضـى، التـي كـان يمكـن أن يقـوم بهـا شـياطين الجـن في عـالم الإنسـان.

ثم يتجه الشعراوي إلى توضيح ضعف السـاحر كذلك، بـالرغم مما يبدو عليه مـن قـوة وذلـك لاستعانته بقـوة أخـرى وهـي شـياطين الجن، وإبرازه أنَّ هـذه القـوة أساسـها باطـل، ولقـد عـرض هـذا؛ كـي يُبرز أنه قد يبدو للعيان أنَّ لدى السـاحر قدرات ومميزات، ولكنـه هـو على العكس تمامًا، وتناول هذا المضمون بالشرح الميسر؛ لكـي يرسـخ في أذهـان الجمهـور، وبخاصـة عـوام النـاس مـنهم وهـن وضـعف السـاحر؛ حتـى لا يعتقـدوا فيـه قـوى مـا وهـي ليسـت علـى الحقيقـة، فيصف للناس حقيقة السـاحر في اعتقـاده تميـزه عـن غيـره بتسـخير

---

[1] الشعراوي، تفسير الشّعراوي، ج١٥/ص٩٣١٥.

obeikan.com

قوى أخرى. يقول الشعراوي: «...الله عز وجل يريد لخلقه أن تتكافأ فرصهم في حركة الحياة، فيقول للساحر: إياك أن تفهم أنَّ ما يَسَّرته لك من تسخير الأقوى منك ليقدر على ما لا تقدر عليه يفيدك بشيء، أو أنك أخذت بالسحر فرصة على غيرك، بل العكس هو الصحيح؛ فلن تجني من سحرك إلا الضرر والشقاء، فالسحر فتنة للإنسان كما أنه فتنة للجن، لذلك يقول الله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)[1]»[2]

وهذا الالتفات في الخطاب من الشعراوي بتوجيهه لكل ساحر، هو تنشيط للمتلقي عنه، حتى لا يسأم حديثه، وكذلك هو في ذات الوقت دَكٌّ لقوة السحرة المزعومة في أذهان الناس، والتي يسطون بها كثيرًا على العديد من البسطاء، ثم ينتهي الشعراوي إلى الحقيقة التي أَصلَّهَا القرآن الكريم، الواردة في آية السحر في سورة البقرة، وهي أنَّ السحر فتنة للإنس والجن، أي اختبار وامتحان، ولذلك فلن يجني الساحر من سحره إلا الضرر والشقاء؛ لأنه لا نفع في هذا السبيل المعوج، وهذه حقيقة قد أكد عليها كثير من أهل العلم، فلقد

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٥.

ذكر ابن العربي أنَّ السحرة «يعتقدون أنه نفع لما يتعجلون به من بلوغ الغرض، وحقيقته مضرة لما فيه من عظيم سوء العاقبة»[1]

ثم دعم ابن العربي حقيقة هذه المسألة بعرضه لقاعدة مهمة عند أهل السنة؛ لكي يوضح من خلالها حقيقة النفع والضر، يقول ابن العربي: «وحقيقة الضر عند أهل السنة كل أَلَمٍ لا نفع يوازيه، وحقيقة النفع كل لذة لا يتعقبها عقاب، ولا تلحق فيه ندامة، والضرر وعدم المنفعة في السحر متحقق»[2]

ومن العرض السابق لخواطر الشعراوي حول ضعف الجن، وبالتالي ضعف السحرة الذين يستمدون العون منهم في العديد من مكائد السحر التي يقومون بها، واستدل على ما يقول بالخبر الوارد عن النبي ﷺ، وكذلك بالنص القرآني، مصاحبًا لهما بشرحٍ يعمق من أفكاره تلك في أذهان الناس، ويصحح من سلبياتها ما قد يعوق حياتهم الاجتماعية، ويهدد استقرارهم ويحفظ عليها إيمانها.

---

[1] ابن العربي، أحكام القرآن، ج١/ص٣١-٣٢.

[2] ابن العربي، أحكام القرآن، ج١/ص٣٢.

(د) رأي الشعراوي وبعض العلماء في تعلم السحر:

ويستهل الشعراوي هذه المسألة بقضية مهمة يدعيها كثير من الناس؛ حتى يجيزوا لأنفسهم تعلم السحر رغم أن الله – تعالى – نَبَّه إلى كون تعلم السحر فتنة، فيتساءل الشعراوي قائلًا: «أيستعمله في الخير أم في الشر؟ فإن قلت: أتعلم السحر لأستعمله في الخير، نقول: هذا كلامك ساعة التحمل، ولا تضمن نفسك ساعة الأداء، كما قلنا سابقًا في تَحَمُّلِ الأمانة حين تقبلها ساعة التحمل، وأنت واثق من قدرتك على أدائها في وقتها، ومطمئن إلى سلامة نيتك في تحملها، أما وقت الأداء فربما يطرأ عليك ما يغير نيتك»[1]

ويستدل الشعراوي على ما سبق بشاهد قرآني يجسد حقيقة الإنسان حينما يتعجل في قبول أمرٍ ما دون وعي كامل بحال نفسه أثناء القيام به؛ لأنَّ الإنسان ابن الأغيار، فيستحضر الشاهد القرآني الذي يصور مشهد عرض أمانة التكليف الإلهي على بني آدم. يقول: « ...كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٥.

Obeikan.com

مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[1] فاخترن التسخير على الاختيار وحمل الأمانة؛ لأنهن لا يضمن القيام بها»[2]

وهكذا لاحظت ربط الشعراوي بين رفض السموات والأرض والجبال تحمل أمانة التكليف الإلهي وتفضيلهم أن يُجْبَلُوا (أي يُخْلَقُوا) على طبيعة التسخير خشية العجز عن القيام به إن وافقوا على تحمله، بموقف من يطلب علم السحر حتى يستعمله في الخير، وهو لا يعلم من أمر نفسه شيئًا حال تعلمه، فلقد ساق هذه الآية للتوضيح.

والشعراوي في معالجته لا يلجأ إلى استحضار الآي الخاصة بالموضوع المتناول فحسب، وإنما كذلك يستحضر من النص القرآني ما يتناسب وزيادة التوضيح والتمثيل لجمهوره.

ويمكننا القول بأنَّ الشعراوي يسعى في شرحه إلى محاولة تنفير جمهوره من عملية تَعَلُّمِ السحر، وينفذ إلى هذا المضمون بشكلٍ انسيابي دون مباشرة في الوعظ والإرشاد، فيتجه - كما رأينا - إلى سوق المقدمات الجيدة، والمدعمة بالشواهد القرآنية والنبوية،

[1] سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٥-٩٣١٦.

والموضحة بالأمثلة الميسرة لأفكاره؛ وذلك كي يساعد المتلقي عنه أن يصل بنفسه إلى النتيجة التي يبغيها، وهي البعد عن تَعَلُّمِ السحر، فحينما أراد أن يستدل على أنَّ طريق السحر هو طريق يؤدي إلى الكفر، لم يقل ذلك صراحة، ولكن تدرج وتسلسل بالأفكار إلى أن أوصل جمهوره إلى أنَّ مآله الكفر، وأعني بذلك خلو أسلوبه من المباشرة في وعظه، وتلك مزية في أسلوب دعوته قد أدى إلى نجاحها.

يقول الشعراوي: «وقد أعذر اللّه – تعالى – إلى السحرة في قوله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)[١] كأنَّ الساحر مآله إلى الكفر؛ لأنه ابن أهواء وأغيار، لا يستطيع أن يتحكم في نفسه فيسخر السحر في الخير»[٢]

ونلاحظ أنَّ الشعراوي لم يجزم برأي واضحٍ في مسألة كون السحر كُفْرًا أم معصية؟ فلم يُدخل نفسه في دائرة الخلاف؛ وذلك مراعاةً منه للعامة الذين يُوجّه إليهم خطابه، والذين لا شأن لهم بمثل تلك الخلافات الفقهية[٣]، والتي لن تجدي ثمارًا طيبة إذا ما

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

[٢] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٦.

[٣] لقد أورد ابن العربي رأي الشافعي ونقده، يقول ابن العربي: «وقال الشافعي: السحر معصية إن قَتَلَ بها الساحر قُتِلَ، وإن أَضَرَّ بها أُدِّبَ على قَدْرِ الضرر، وهذا باطل من

طُرِحَت عبر جهاز إعلامي على الجماهير، غير أنه – كما رأينا – قادنا إلى النتيجة بشكلٍ منطقي...وبطريقة المقدمات التي تؤول إلى نتائج حتمية...فانتهى بنا إلى أنَّ مآل الساحر هو الكفر، ثم أخذ يُصَعِّدُ هذه المسألة كعادته؛ ليستنفد كل ما لديه من أفكار حولها تدعمها وتأصلها في نفوس الناس. يقول الشعراوي: «إنَّ اللّٰه – تعالى – إذا أراد أن يسخر القُوَى للخير: أيُسَخِّرُ الطائع أم يُسَخِّرُ العاصي؟ سَيُسَخِّرُ الطائع، والجن الطائع لا يرضى أبدًا بهذه المسألة؛ إذن لن يستطيع الساحر إلا تسخير الجن العاصي، كما قال تعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ...)[1] »[2]

إذن لقد أوضح الشعراوي أنَّ الساحر يُسَخِّرُ الجن العاصي فقط، واستدل على ذلك بالآية السابقة التي ساقها شاهدًا من سورة الأنعام، ولقد كان هذا أيضًا من الشعراوي استمرارًا في تنفير الناس من عملية السحر، وبالتالي تنفيرهم من السعي لتعلمه.

=وجهين؛ أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته أنه كلام مُؤَلَّفٌ يُعَظَّمُ به غير اللّٰه تعالى، وتُنْسَبُ إليه فيه المقادير والكائنات، والثاني: أنَّ اللّٰه سبحانه قد صَرَّحَ في كتابه بأنه كفر؛ لأنه تعالى قال: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) من السحر، وما كفر سليمان بقول السحر، ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه» ابن العربي، أحكام القرآن، ج١/ص٣١.

[1] سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٦.

ولقد تَجَنَّب الشعراوي حديث بعض المفسرين عن قضية جواز تَعَلُّم السحر كما أدلى بذلك عدد من المفسرين؛ وذلك لأنه لا يرى بجواز تَعَلُّم السحر اتقاءً لشره؛ فلم يرغب الشعراوي ذكر إجازة بعض أهل العلم تعلمه، تحرزًا من ويلات ذلك، وأيضًا لأنه يُحدِّثُ جماهير الناس، لا يُحَدِّثُ متخصصين ،إنما ناقش هذه القضية وعالجها بحنكة بالغة كما بَيَّنْتُ سابقًا.

-أمَّا عن المفسرين الذي أوردوا «جواز تعلم السحر» في تناولهم لأية السحر في سورة البقرة، فإننا نجد تعبيراتهم في هذا المضمون مختلفة الألفاظ، متحدة المعاني.وهم يرون ذلك من باب:

عرفتُ الشرَّ لا للشَرِّ لكن لتَوَقِّيه ومن لا يعرفُ الشرَّ من الناس يقعُ فيه

فمن مدرسة التفسير بالمأثور نجد الطبري يقول بأنه: «ليس في العلم بالسحر إثم، كما لا إثم في العلم بصفة الخمر ونحت الأصنام والطنابير والملاعب، وإنما الإثم في عمله وتسويته، وكذلك لا إثم في العلم بالسحر، وإنما الإثم في العمل به، وأن يضر به من لا يحل ضره به...»[1]

وإذا كان هذا هو رأي الطبري المفسر الجليل- وكُلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرَدُ- فلا أظن أنَّ الشعراوي كان يمكنه أن يطالع الجمهور

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١/ص٤٤٩.

على هذا الرأي، هذا الجمهور الذي يتألف من مثقفين وغير مثقفين على اختلاف درجاتهم العلمية، وعلى اختلاف مشاربهم وأفهامهم، وأعتقد أنَّ الشعراوي فَطِنَ إلى مدى تأثير الإعلام في نفوس الجماهير، وأيضًا لوضعه كمفسر له كلمته ذات القبول عند الناس، أن يخبرهم بجواز تَعَلُّم السحر نقلًا عن الطبري أو غيره، لما في هذا من خطورة بالغة على مجتمعه، الذي انتشر بين صفوفه المشعبذين والدجالين والآفاقين والأدعياء، وأين هؤلاء الثقة في هذا الفن الذي يمكن أن يؤخذ عنهم هذا الأمر من باب أنه معرفة علمية بالشئ فقط.لقد مارس الشعراوي الانتقاء الجيد من كتب التراث بما يتناسب وأحوال الناس، فانتخب من كتب التراث ما وجد معه صلاح الناس في معاشهم ومعادهم، بما يعكس رؤية الشعراوي الإصلاحية ومنهجه العلمي فيما ينتخب من فقه وفهم العلماء، وما يعرض على الجماهير من ألوان العلوم والمعارف التي يتحقق بها النفع والخير للمجتمع الإنساني.

فإذا انتقلنا إلى ابن عطية في عرض فهمه للمقصود بالتعليم الذي ورد في آية السحر، هو «التعريف اليسير بمبادئه...أو أنه تعالى أنزل السحر عليهما؛ ليعلم على جهة التحذير منه، والنهي عنه»[1]

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١/ص١٨٦.

ونجد الإمام/ الرازي يتوسع في كلمة طلب العلم، فنراه يدرج العلم بالسحر تحته، بل ويتعجب ممن يرى بأنَّ تعلمه حرامًا أو قبيحًا. يقول الإمام/ الرازي: «العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك؛ لأنَّ العلم لذاته شريف، وأيضًا لعموم قوله: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1] ولأنَّ السحر لو لم يكن يُعَلَّمْ لما أمكن الفرق بينه وبين المُعْجِز...والعلم بكون المعجز معجزًا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل السحر واجبًا، وما يكون واجبًا...كيف يكون حرامًا أو قبيحًا»[2]

ولقد اعترض ابن كثير على رأي الرازي السابق، والذي يرى فيه أنَّ العقل لا ينكر تَعَلُّمَ السحر استنادًا إلى قول الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[3] فيذكر ابن كثير أنَّ هذه الآية «إنما دلت على مدح العاملين بالعلم الشرعي...وإدخال السحر في عموم قوله تعالى السابق: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي) فيه نظر»[4]

---

[1] سورة الزمر، الآية: ٩.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١/ص٢٩٢.

[3] سورة الزمر، الآية: ٩.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/ص٢٠٨.

obeikan.com

ونجد البيضاوي ينقل عن غيره من أهل العلم بجواز تعلم السحر، غير أنه يحذر منه، ويرى بأفضلية التحرز من تعلمه. يقول البيضاوي: «تَعَلُّمُ السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور، وإنما المنع من اتباعه والعمل به...(وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ) لأنهم يقصدون به العمل، أو لأنَّ العلم يجر إلى العمل غالبًا (وَلَا يَنْفَعُهُمْ) إذ مجرد العلم به غير مقصود، ولا نافع في الدارين، وفيه أنَّ التحرز عنه أولى»[1]

وبعد عرض هذه النصوص السابقة، والتي تناولت مضمون جواز تعلم السحر ليحترز منه الإنسان عند القدامى، نرى أنَّ الشعراوي لم يتبنَ هذه الفكرة، بل سعى إلى التنفير من تَعَلُّمِ السحر؛ وذلك لكثرة المشعبذين والخداعين والأفاقين الذين يرتادون هذا المجال، ويَدَّعُون العلم بمعرفة السحر، هذا مع خلوهم من الضمير الإيماني الذي يحكم تصرفاتهم، وبهذا فُقِدَ وضل المصدر الموثوق فيه لكي يُطلب منه العلم بهذا، وأصبح السعي في هذا التيه ما هو إلا دخول في طوفان عارم لا نجاة منه، ولهذا اتخذ الشعراوي موقف الاحتراز من تَعَلُّمِه، وقد بدا ذلك في تصويره لمن يسلك طريق

---

[1] البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١/ص٧٤.

السحر بأنَّ مآله إلى الكفر لا محالة، حتى وإن سلمت النوايا في بداية الأمر، ولقد استند الشعراوي في توضيح ذلك على إبراز طبيعة النفس البشرية، التي لا تستقر على حال، فالإنسان ابن الأغيار والأهواء، ولا يملك من زمام نفسه شيئًا حتى يقرر بأنه سيتعلم السحر لفعل الخير، ثم يجد نفسه قد أساء استعماله بعد ذلك، ومن هذا المنطلق اتخذ الشعراوي موقفه من تَعَلُّمِ السحر.

وهذا الرأي هو الذي أراه حقًّا، فأين زمان هؤلاء العلماء من زماننا هذا؟ إنَّ زمن العلماء الأجلاء الذين يرون بجواز تعلم السحر لاتقائه، ساد فيه طلب العلوم بشتى أنواعها وصنوفها، فكانت عقول الناس في حصن محكم منيع من الانزلاق في الخرافات، ولو كان هؤلاء العلماء القدامى يعيشون في زماننا هذا بكل ظروفه ما أجازوا التعلم للناس أبدًا لاتقاء شره، إنما حرموا عليهم الدنو منه لانتشار الجهل والبعد عن العلم وعن مناهج أهل العلم الرصينة، ولأسباب أخري كثيرة أملتها ظروف العصر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ضرورة رعاية سياق الموضوع المعروض له في القرآن الكريم زمانيًّا في إخبار القرآن الكريم بهاروت وماروت فإنَّ الآيتين (١٠١-١٠٢) من سورة البقرة توضحان استقبال اليهود لرسالة سيدنا محمد - صلي الله عليه وسلم - بالتكذيب، وطرحهم لتعاليم كتابهم التي أمرتهم باتباعه، واتبعوا ما تتلوه وتقصه الشياطين علي عهد سليمان

- عليه السلام - وفي زمانه من الأكاذيب والكفر أنَّ مُلْكَه قام على السحر، وغيرها من الأكاذيب التي ألصقوها به - عليه السلام - وهو بريء منها (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) فمعناه:وما كفر سليمان ولكن الشياطين هم الذين كفروا إذ تعلموا السحر وعَلَّموه لغيرهم بقصد إضلالهم، وصرفهم عن عبادة اللّه – تعالى - إلي عبادة غيره من المخلوقات؛ فالآية تبرئة لسيدنا (سليمان) عليه السلام.

ثم أخبر القرآن الكريم بخبر هاروت وماروت، وسواء كانا مَلَكَيْن، أو رَجُلَين صالحين، بحسب القراءات الواردة في هذه اللفظة، إلا أنَّ الذي يعنينا هو المهمة التي قام بها هاروت وماروت من حقيقة أنَّ اللّه تعالى أنزلهما ليعلما الناس السحر ابتلاء لهم، ليفضحا مزاعم السحرة الذين كانوا يَدَّعون النُّبُّوة كذبًا، ويسخرون العامة لهم، ويخرجونهم إلي عبادة غير اللّه تعالى، والمعنى: أنَّ المَلَكَين لا يعلمان أحدًا من الناس السحر إلا وينصحانه بقولهما "إنَّ ما نعلمك إياه من فنون السحر؛ الغرض منه الابتلاء والاختبار لتمييز المطيع من العاصي.فمن عمل به ضلَّ وغوى، ومن تركه فهو على نور من اللّه، ولإظهار الفرق بين المعجزة والسحر" فالمقصود من تعليم الملكين للناس السحر؛ فَضْحُ أمر السحرة الذين كثروا في تلك الأيام وادَّعوا ما لم يأذن به اللّه – تعالى - ولا يمكن للمُفَسِّر لهذه الآيات - أو لموضوع السحر عمومًا - أن يغفل عن هذا السياق التاريخي

obeikan.com

والزماني الذي يخبرنا الله – تعالي – به في شأن هاروت وماروت وكَذِب الشياطين على مُلْكِ (سليمان) عليه السلام.

ويستمر الشعراوي في تنفير الناس من السحر والسحرة، ومن السير في هذا الطريق، وذلك عن طريق إيحاءات نفسية منفرة يلقي بها من الحين إلى الحين؛ حتى يبعد الناس عن وُلُوج هذا الطريق، ولذا نراه يصف السالكين لهذا الطريق وصفًا قبيحًا، وهذا بلا شك له مردوداته الإيجابية في نفوس الناس. يقول الشعراوي: «...وتلاحظ أنَّ كل الذين يشتغلون بهذه العملية على سمتهم الغضب، وعلى سحنتهم آثار الذنوب وشؤمها، ينفر منهم من رآهم يعيشون في أضيق صور العيش، فترى الساحر يأخذ من هذا ويأخذ من هذا، ويبتز الناس ويخدعهم، ومع ذلك تراه شحاذًا يعيش في ضيقٍ ويموت كافرًا، مُبْعَدًا من رحمة الله، حتى أولاده من بعده لا يسلمون من شؤمه، وصدق الله العظيم حين قال: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا)[1] »[2]

وهكذا دعم الشعراوي معالجته للموضوع بالآي المناسبة من النص القرآني، فاستشهد كما رأينا بالآية السابقة من سورة الجن؛

---

[1] سورة الجن، الآية: ٦.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٦.

كي يدعم بها وصفه للأحوال الحقيقة للسحرة، وهذا وغيره يعد دليلًا على إلمام نظرته بأطراف الموضوع الذي يعالجه في تناول النص القرآني لها، وكذلك إلمامه بمراميه وأبعاده الاجتماعية، ومعالجة هذا وذاك في إطارٍ واحد، ولذلك نراه يدعو جمهوره إلى النظر في حياة السحرة، وكذلك كيفية خداعهم للبسطاء، ومن لا دراية لهم بحقيقتهم، فيقوم الشعراوي برصد بعض النماذج من الفئات الاجتماعية التي تلجأ للسحرة، يقول الشعراوي: «كما أنَّ في حياة السحرة لفتة، يجب أن نلتفت إليها، وهي أنَّ السحرة الذين يصنعون السحر للناس ويخدعونهم من أين يرتزقون؟ من عامة الناس الذين لا يفهمون في السحر شيئًا، ولو أنه أفلح بالسحر لأغنى نفسه عن أن تمتد يده إلى هذا، فيأخذ منه عدة جنيهات، وإلى هذا يطلب منه أشياء غريبة يوهمه أنَّ مسألته لن تحل إلا بها»[1]

وفي ذلك يقول الإمام/ محمد عبده: «...وإنك لترى...المسلمين إلى اليوم يتلون أقسامًا وعزائم، ويخطون خطوطًا وطلاسم، ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهودهن، ويزعمون أنها تقي حاملها من اعتداء الجن ومن العفاريت»[2] ثم يتساءل الشعراوي إذا كان هذا

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٦-٩٣١٧.

[2] تفسير المنار، ج١/ص٣٢٩.

obeikan.com

الساحر ومن معه لديه من الخوارق والقوى كما يزعمون، فلماذا «لم يستخدم سحره في سرقة خزينة مثلًا، ويريح نفسه من هذا العناء، وإن قال: كيف وهي أموال الناس والسطو عليها سرقة، فليذهب إلى الركاز، وكنوز الأرض، فليس مملوكة لأحد»[١]

وهذا أيضًا ما ذكره الطبرسي في ضعف السحرة وبطلان قوتهم المزعومة، وفي ذلك يقول الطبرسي: «...ولو أنَّ (للساحر أو المُعَزِّ) قدرًا على نفعٍ أو ضَرٍّ، وعَلِمًا الغيب لقَدِرَا على إزالة المَمَالِك، واستخراج الكنوز من معادنها، والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير أن ينالهم مكروه وضرر، فلما رأيناهم أسوأ الناس حالًا وأكثرهم مكيدة واحتيالًا علمنا أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك»[٢]

ويختم الشعراوي خواطره حول موضوع السحر بقوله: «نعود إلى سحرة فرعون أيًّا كان سحرهم أمن نوع الألاعيب وخفة الحركة وخداع الناظرين، أم من نوع السحر الذي علمته الشياطين من زمن (سليمان) عليه السلام، فهو سحر لن يقف أمام معجزة باهرة جاءت على يد موسى لإثبات صدقه»[٣]

---

[١] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٧.

[٢] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١/ص٢٦١.

[٣] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٣١٧.

obeikan.com

ويمكننا أن نسجل أنه عقب الانتهاء من قراءة آراء المفسرين في هذا المضمار، لا ننتهي إلى رأيٍ محددٍ واحد، وإنما إلى مجموعة من الآراء تُقِرُّ بوجود السحر، وتختلف في تحديد كينونته وماهيته، وبالتالي إن كان الشعراوي بعد شرحه السابق قد انتهى إلى الفقرة السابقة، من عدم تحديده لنوع سحر سحرة فرعون ألا نُصَابَ بنوعٍ من الدهشة؛ لأنَّ تلك الحيرة وُجِدَت أيضًا عند من سبقه من أهل العلم.

ملخص الفصل:

وخلاصة القول من هذا الفصل أنه قد تناول الشعراوي موضوع السحر من خلال خواطره التي تناولت سورة طه، وذلك حينما استوقفه هذا المشهد من قصة سحرة فرعون في قول الله تعالى: (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[1]

فلقد فجرت هذه الآية موضوع السحر لدى الشعراوي، وكانت هي مصدر انطلاقه لمعالجة هذا الموضوع، معتمدًا في هذه المعالجة على النص القرآني، والسنة النبوية المطهرة، ومستعينًا بالأمثلة

[1] سورة طه، الآية: ٦٦.

الميسرة لتقريب المعاني لجمهوره، ومتخللًا ذلك تعريضه بالنقد على السلبيات الفكرية الاجتماعية التي تكتنف هذا الموضوع لدى العامة، من الموروثات الفكرية المترسخة في أذهان الناس، ولقد عالج الشعراوي موضوع السحر من خلال الأفكار الآتية:

(أ) الفرق بين المعجزة والسحر:

لقد استهل الشعراوي موضوع السحر بتوضيحه الفرق بين المعجزة والسحر؛ وذلك كي يؤصل هذه الفكرة كقاعدة ينطلق منها لمعالجة حيثيات هذا الموضوع؛ ولكي يُلقي في روع جمهوره الفرق بين فعل اللّه – تعالى – الذي هو الحق، وفعل الباطل الذي هو السحر.

ولقد كانت هذه رسالة منه للعديد من الناس الذين يصل بهم الاعتقاد بالسحر إلى حد الخلط بين قدرة اللّه – تعالى – وبين قدرة الساحر الضعيفة، فكما قال محمد الغزالي: «للعامة أوهام كثيرة في هذا الميدان ينبغي الحذر منها»[1] فكانت هذه المعالجة من الشعراوي محاولة لتهذيب الشوائب الفكرية لدى الجمهور حول هذا الموضوع، ولقد ساعدت قصة موسى – عليه السلام – مع سحرة فرعون على إبراز هذا المضمون.

---

[1] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص٥٥١.

obeikan.com

ولقد استحضرتُ ما ورد عن هذه القصة في التوراة في سفر الخروج، الإصحاح السابع، وأرفقته بالهامش.

واستحضرت آراء لبعض العلماء حول هذا مثل الرازي والزمخشري ومحمد عبده ومحمد الغزالي.

ولقد سجلتُ ملاحظة مهمة، وهي أنَّ الشعراوي لم تثيره آية السحر الواردة في سورة البقرة ١٠٢، للحديث عن موضوع السحر، بينما استثارته هذه الآية من سورة طه، وقد بدا لنا أنه توظيف جيد منه، وإدراكٍ واع، لمعالجة هذا الموضوع من خلال هذه القصة، حيث أنَّ القصة القرآنية وسيلة أبلغ للتأثير في نفوس الناس.

(ب) ماهية السحر وأنواعه:

لقد قسَّم الشعراوي السحر إلى نوعين: سحر إنساني، وسحر شيطاني، فالسحر الإنساني هو المتمثل في الحيل والألاعيب وخفة يد الساحر والخدع، والسحر الشيطاني هو السحر الذي يستعين فيه الساحر بتسخير الشياطين ليأخذ قدرة، وقوة فوق قوة، وقدرة البشر العادي.

ولقد استقى الشعراوي من تعريفات من سبقه من العلماء تعريفه السابق، وبدا متأثرًا تأثرًا كبيرًا بالراغب الأصفهاني، غير

obeikan.com

أنني لا أنكر أنه اختار رأيًا من جملة آرائهم، ولم ينجرف في تيار تعريفاتهم، فانتقى انتقاءً عن تهذيبٍ واختيار.

وكعادة الشعراوي نراه لا يعرض خِلَافَ العلماء في أية مسألة في هذا الموضوع؛ حتى لا يثير ما لا يؤمن عقباه، ولا يجدي ذكره ثمارًا طيبة إذا ما عُرِضَ على العامة، فيوشوش أذهانهم، ويثير جدلهم فيما لا يُسمن ولا يُغني من جوع.

ولقد عدتُ إلى تعريفات المفسرين والعلماء لماهية السحر، وانتهيتُ إلى أنه قد اتفق العلماء على وجود السحر، بينما اختلفوا في ماهيته، فذهب جمهور العلماء إلى أنَّ السحر حقيقة، وأنه تقتدر به النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، ويرى المعتزلة وبعض أهل السنة أنَّ السحر لا حقيقة له، وإنما هو خداع وتمويه وتخييل وخفة يد، وإمَّا هو المواطأة أو السعي بالنميمة، ولا يرى هذا الفريق أنَّ الساحر يقدر على شيء مما يثبته له الآخرون من التأثير في الأجسام الأخرى.

ولقد ناقشتُ في هامش الفصل من أنكر أنَّ النبي - ﷺ - قد سُحِرَ، (كالمعتزلة والطبرسي من الشيعة، والإمام/ محمد عبده من كبار المجددين في العصر الحديث...وغيرهم) وقمتُ بمناقشة الخبر من خلال استدعاء آراء السادة العلماء الذين قاموا بالفهم الجيد

لمتن الخبر الوارد في سحر النبي ﷺ، من حيث أنه قد سُحِرَ جسده، وليس عقله، وبالتالي فلا قدح حينئذٍ في النُّبُوة أو الرسالة.

(ج) تجسيد الشعراوي لضعف الشيطان:

لقد ناقش الشعراوي في إطار هذه الفكرة مجموعة من العناصر منها:

- طبيعة وخواص خلق الجن.
- خاصية التَّشَكُّل لدى الجن.
- ضعف الساحر وبطلان ادعاءاته.

لقد سعى الشعراوي من خلال معالجته لهذه الفكرة إلى محاولة هدمه لفكرة تَسَلُّط الجن على الإنس، وهي كذلك محاولة منه لصرف الناس من خلال القصة القرآنية من الخوف المفرط من شياطين الجن، ومن السحر والسحرة، مدعمًا ذلك بالشواهد القرآنية والنبوية ومُحَلِّيًا شرحه بالأمثلة التوضيحية.

فبعد أن حَدَّثنا عن الطبيعة الخاصة بالجن من حيث سهولة نفاذهم، وقدرتهم على التَّشَكُّل...ذكر أنَّ الله – تعالى – جعل لنا ما يحمينا منهم، فذكر ما أسماه بقانون التَّشَكُّل، وهو أنَّ الجن حين يتشكلون في الأشكال المختلفة تحكمهم هذه الأشكال، بمعنى لو أنَّ

الشيطان تشكل في صورة إنسان، فقد حكمته هذه الصورة، بحيث لو أطلق عليه الرصاص في هذه اللحظة لقُتِل، ثم أردف الشعراوي هذا الكلام: «لذلك فالشيطان يخاف منك أكثر مما تخاف منه»

والظاهر من كلام الشعراوي أنه لا يرى بإمكانية رؤية الإنسي الجني على صورته؛ لأنه قد استدل بقوله تعالى: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)[1] وأكثر العلماء على هذا كما قال ابن حجر في شرحه للخبر النبوي الذي استشهد به الشعراوي – وهو قصة الشيطان الذي هَمَّ النبي ﷺ بربطه في سارية المسجد، ثم يقول ابن حجر...حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، واستدل بالآية ٢٧ من سورة الأعراف، ولذلك يرى الشعراوي أنه من رحمة الله – تعالى – بنا أنَّ الجن يتشكل، ولو أنهم لم يتشكلوا لفَزَّعُوا الناس وأرهبوهم ولم نسلم من شرهم.

ضَعْفُ الساحر: ثم جسَّد الشعراوي ضَعْفَ الساحر، فركَّز في معالجته على ادعاءات السحرة بأنَّ لديهم قدرات ومميزات عن غيرهم...فيوضح الشعراوي لعامة الناس أنه لو كان الساحر يملك ما يَدَّعِي بسبب تسخيره للأقوى منه وهم الشياطين؛ فلماذا لا نرى

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

أنَّ الساحر يفوز بفُرَصٍ على غيره؟ بل على العكس إننا نراهم أشقى وأتعس الناس؛ لأنَّ السحر في أصله فتنة للإنس كما هو فتنة للجن، واستشهد على ذلك من النص القرآني، وأراد من هذا التحليل دَكَّ قوة السحرة المزعومة لدى الناس، والتي يسطون بها كثيرًا على العديد من البسطاء، ولقد دعمتُ كلامه بما أدلى به ابن العربي.

(د) رأي الشعراوي وبعض العلماء في تَعَلُّمِ السحر:

يمكنني القول أنَّ الشعراوي سعى إلى تنفير الناس من تعلم السحر، واستند في هذا التنفير على إبرازه لطبيعة النفس البشرية التي لا تستقر على حال؛ لأنَّ الإنسان ابن الأغيار والأهواء، ولا يملك من زمام نفسه شيئًا، حتى يقرر أنه سيتعلم السحر لفعل الخير، ثم يجد نفسه قد أساء استعماله بعد ذلك، ومن هذا المنطلق اتخذ الشعراوي موقفه السابق من تعلم السحر.

واستدل كذلك على أنَّ الساحر مآله إلى الكفر، ثم ذكر أنَّ لو أراد الله – تعالى – أن يسخر القُوَى للخير... لن يُسَخِّرَ العاصي؛ لأنَّ الساحر حينما يُسَخِّرُ الجن، فهو يُسَخِّرُ العاصي منهم لا الطائع من الجن.

فالشعراوي لم يردد قول من قال من أهل العلم بجواز تعلم السحر للاتقاء منه، كما أدلى بذلك عدد من المفسرين - الذين أوردت بعضًا مما قالوه في هذا - وذلك لأنه لا يرى بجواز تعلمه، رغم أنَّ معظم العلماء قالوا بجواز تعلمه مع التحذير من ذلك، بينما سعى مناقشًا ذلك الرأي بالتنفير من تعلمه؛ لأنه يحدث جماهير الناس، لا يحدث متخصصين في معاهد علمية متخصصة، ويُعد هذا انتقاء رشيد من آراء السلف بما يناسب الزمان والمكان والأحوال والأشخاص.

وكذلك لم يطرح الشعراوي مسألة جواز تَعَلُّمه؛ لإدراكه طبيعة الرسالة المحمدية في دحض الباطل وإظهار الحق، ولقد غرق بعض الناس في زماننا مع المشعبذين والدجالين والأفاقين في هذه الضلالات...والأصل الذي يُرجع إليه أنَّ القرآن الكريم ما جاء إلا لدحض الباطل وإقرار الحق، والسير في طريق السحر والسحرة ما هو إلا باطل يجب أن يُجتَنَبَ، وما أخبر به القرآن الكريم حول هذا ما هو إلا من باب التوجيه والتعليم الذي يترتب عليه مخالفة هذا المسلك، والسير في طريق الحق الذي أتى به سيد الخلق أجمعين، ولقد زكيتُ هذا الرأي، وقلتُ أنَّ هذا هو الحق لقرائن عدة بينتها في محلها، ولقد سجلتُ كذلك ما أدلى به ابن العربي في هذه القضية.

وهكذا كانت معالجة الشعراوي لموضوع السحر من خلال هذا المشهد من قصة موسى - عليه السلام - مع سحرة فرعون.

النتائج التي أسفرت عنها أطروحة ((القصص القرآني في تفسير الشعراوي)) كالتالي:

تبيَّن لي من خلال البحث تنوع أشكال التفسير الموضوعي، وتباين فهم العلماء تبعًا لهذا التنوع، وهذا على مستوى التنظير والتطبيق، فأشكال التفسير الموضوعي كما ظهر لي من خلال البحث أنه ثلاثة أنواع:

- التفسير الموضوعي للمصطلح أو للكلمة القرآنية.
- التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.
- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

تأثر أرباب التفسير الموضوعي في منهجهم الجديد بما أرساه الإمام/ محمد عبده من قواعد مهمة لتصحيح مسار التفسير، بحيث يحقق المفسر الغاية الحقيقية من تفسير القرآن الكريم، والمتمثلة في فهم الكتاب الكريم، في ضوء أنه دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، وهذا يمثل أحد معالم التفسير الموضوعي، وهو ربط الموضوع القرآني بواقع المجتمع الإنساني.

لقد اندرجت موضوعية الشعراوي - التي قمتُ برصدها من خلال القصص القرآني - تحت نوع التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ولكن من خلال قالب جديد، وهذا ما سعيتُ إلى توضيحه من خلال هذه الأطروحة؛ فالشعراوي يفسر القرآن الكريم وفق ترتيب المصحف الشريف، فإذا ما لاحت له قصة ما، أو مشهدٍ ما فيها، أو جزء في مشهد، بموضوعٍ ما في مجال العقيدة أو التكاليف أو الإصلاح الاجتماعي؛ انطلق معالجًا لهذه الموضوعات، مدعمًا معالجته فيها بالنص القرآني الكريم والسُّنَّة النبوية المُشَرَّفة، ومعارفه المختلفة في شتى الميادين، هذا بجانب توظيفه لأسلوب ضرب المثل لتيسير المعاني على الناس، فيذيب كل هذا في بوتقة الموضوع الذي يعالجه.

وظهر لي في رصدي لمعالجة الشعراوي لموضوعاته من خلال القصص القرآني أنه ينأى عن جمع كل الشواهد القرآنية والنبوية الخاصة بالموضوع الواحد الذي يطرحه، فهو ينتخب منها قدر الحاجة، وبخاصة لأنه يدلي بخواطره عبر وسائل الإعلام، وأنه لم يكتبها، وهذا بدوره قد فُرِضَ عليه العديد من الأمور، والتي لاحظتها من خلال رصدي لموضوعيته، ومنها مراعاة المخاطبين من ألا يصيبهم ملل، والتنوع في الاستدلالات ما بين النص القرآني والسُّنَّة النبوية المُشَرَّفة، وبعض مواقف وسير الصحابة رضوان اللّٰه تعالى عليهم ، وغيرها من الوسائل المدعمة لخواطره.

لقد خضع تقسيمي لهذا البحث للموضوعات التي اهتم الشعراوي بها، فلقد اهتم بموضوعات خاصة بالعقيدة، مثل تناوله «لموضوع شُبَهِ الكفار حول الرسل من خلال قصة (نوح) عليه السلام» فاستوقفه هذا الموضوع من خلال أحد مشاهد القصة، واتجه لمعالجة هذه المسألة الخاصة بالنُّبُوَّات ليس من وحي القصة فحسب، بل كذلك من خلال ما ترمي به من ظلال حول ما تتزعمه بعض التيارات الفكرية الحديثة المعادية للرسل والرسالات، وهذا في إطار ربط موضوعي بين الموضوع القرآني وواقع المجتمع الإنساني.

ومن الموضوعات العقدية التي عالجها كذلك «موضوع تسبيح الكائنات من خلال قصة سيدنا (داود) عليه السلام» فقد استوقفه هذا الموضوع من خلال الإشارة الواردة في القصة، فانطلق من وحيها معالجًا لهذا الموضوع من خلال نقده للعلماء في فهمهم مسألة التسبيح من الكائنات حيةً كانت أو جمادًا، ثم معالجته لهذه المسألة من خلال استقرائه لما ورد مها في النص القرآني والآثار النبوية، مع تضفيرها وتحليتها بتحليلاته المدعمة بمعارفه العلمية واللغوية، ثم استغلال الموضوع في جانب الوعظ والإرشاد الديني، بربطه بالمجتمع الإنساني.

ومن الموضوعات العقدية التي تناولها كذلك «موضوع الفرار من الموت من خلال قصة قوم من بني إسرائيل» والتي صورتها آية

واحدة من سورة البقرة، ولقد استوقفه هذا العرض الموجز لقصة هؤلاء القوم الفارين من الموت، وغموض عناصر الزمان والمكان والأشخاص فيها، وأثر ذلك على العظة والعبرة المستفادة من الموضوع العقدي الذي تحمله القصة، وناقش هذا من خلال استقراء أسلوب القرآن في عرض القصص القرآني، وكيف أنَّ موضوع القصة يؤثر في أسلوب عرض القصة، وناقش مسائل مهمة في عقيدة الموت، واستعان في بناء هذا الموضوع بالنص القرآني، وبعض مواقف الصحابة - رضوان الله - تعالى - عليهم - والشواهد الشعرية.

لقد تناول الشعراوي من خلال تفسيره للقصص القرآني موضوعات خاصة بقضية التكاليف الإلهية، مثل موضوع «التطبيق العملي للتكاليف الإلهية من خلال قصة آدم وزوجه» فلقد استوقفه هذا الموضوع من خلال مشهد آدم وزوجه في الجنة، وعالج في هذا الموضوع مسألة تطبيق التكاليف الإلهية من خلال اعتبارات متنوعة، وكذلك استعانته في هذا البيان الموضوعي بالنص القرآني والسُّنَّة النبوية المُشَرَّفة، ووسيلة ضرب المثل، والتي سادت معظم خواطره حول القرآن الكريم واشتهر بها.

وكما أنه قد تناول «موضوع التكليف بالقتال من خلال قصة طالوت وداود وجالوت» ولقد اتسمت هذه القصة بالطول في

العرض، ومن المُلاحظ في معالجة الشعراوي لهذا الموضوع - من خلال هذه القصة - قفزاته أحيانًا فوق العديد من تفاصيل القصة، فهو لا يلتفت في خواطره لكل مشهد من مشاهد القصة، فهو يبرز منها ما من شأنه أن يخدم بناءه الموضوعي الذي يشغله، والذي ينسجه من وحي هذه القصة، ولقد عالج في إطار هذا الموضوع مجموعة من المسائل الحيوية الخاصة بتشريع القتال، وذلك أيضًا من خلال ربط موضوعي واضح بين هذا الموضوع وبين واقع المجتمع الإنساني والإسلامي.

وقد تناول موضوعًا آخر في التكاليف الإلهية وهو «موضوع التكاليف الإلهية في قصة (إبراهيم) عليه السلام» وعرض الشعراوي هنا مختلف عما سبقه، حيث أنه عرض لموقف إبراهيم المخلص من قضية التكاليف الإلهية، والذي ترتب عليه إراءة الله – تعالى – له عالم الملكوت، والتي عَبَّرت عنها الآية الواردة في إطار قصة إبراهيم – عليه السلام – في سورة الأنعام بربط هذا الفتح الإلهي على إبراهيم – عليه السلام – بمسألة حسن تطبيقه للتكاليف الإلهية، ثم وَجَّه الشعراوي خطابه لكل مُكَلَّف من وحي ما عرض له بعد ذلك، واستغل ما تناوله في هذا الموضوع بدفع الناس لحسن امتثال التكاليف الإلهية؛ لكي يفوزوا بالفتوحات الإلهية، فاستجمع من النص القرآني صور طاعة إبراهيم للتكاليف الإلهية، ثم ألقى بخواطره على واقع كل مؤمن في حياته مع الله – تعالى – مدعمًا موضوعه كذلك بالشواهد النبوية.

ولقد اهتم الشعراوي في خواطره حول القصص القرآني بالموضوعات الخاصة بالإصلاح الاجتماعي، مثل تناوله «لموضوع السحر من خلال قصة موسى – عليه السلام – مع سحرة فرعون» فلقد استوقف الشعراوي هذا الموضوع من خلال آية واحدة عرضت قصة موسى – عليه السلام – في مسرح لقائه مع سحرة فرعون، ففجرت هذه الآية موضوع السحر لديه، في حين أنَّ آية السحر في سورة البقرة لم تستوقفه مثل هذه الآية، واعتمد في معالجته الموضوعية على النص القرآني والسنة النبوية، والاستعانة بضرب الأمثلة الميسرة لبعض المعاني، متضمنًا ذلك كله بالتعريض بالنقد على السلبيات الفكرية لدى العامة حول هذا الموضوع.

ومن الموضوعات الاجتماعية التي تناولها «موضوع إبراء ساحة المظلوم من خلال قصة (يوسف) عليه السلام» فلقد استوقف الشعراوي أحد مشاهد قصة (يوسف) عليه السلام، ودفع به لمعالجة هذا الموضوع، ولا أغْفُل تطرق قدامى المفسرين إليه، ولكن في تناول سريع، بينما قد توسع الشعراوي في عرض الموضوع، وأسهب في معالجته بطريقة تلائم جمهوره المخاطب، فعالجه من منظورٍ اجتماعي وَظَّف من خلاله معارفه الاجتماعية، ولقد اتضح في معالجته الموضوعية عدم اشتغاله بتفاصيل بعض المواقف في هذا المشهد من القصة، بقدر اشتغاله بما قد يخدم موضوعه منها.

ومن الموضوعات الاجتماعية التي تناولها «موضوع الحسد من خلال قصة (يعقوب) مع أبنائه عليه وعليهم السلام» حيث تناول هذا الموضوع من منظورٍ اجتماعي، وذلك من خلال تطرقه إلى المسائل التي تشغل عامة الناس حول هذا الموضوع، مع التعريض بذكر بعض السلبيات الفكرية التي تكتنف هذا الموضوع لدى العامة، مدعمًا معالجته لهذا الموضوع بالنص القرآني، والسُّنَّة النبوية المُشَرَّفة، مع توظيفه لبعض معارفه العلمية والاجتماعية، والتي من شأنها توضيح ما ذهب إلى طرحه، ومناقشته لهذا الموضوع.

ولقد تجنب الشعراوي في جميع موضوعاته التي عالجها ذكر الخلافات الفكرية والمذهبية، وعدم الخوض فيها أمام عامة الناس، درءًا للتشويش عليهم؛ فهو ينتقي من جملة آراء العلماء رأيًا واحدًا فقط يعرض له.

ولقد بدا لي تأثره بمجموعة من العلماء قدامى ومحدثين، منهم الزمخشري، والرازي، وابن كثير، والأصفهاني، ورفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، والأفغاني، وطنطاوي جوهري، وسيد قطب...وغيرهم.

والحمد لله في البدء وفي الختام، والصلاة والسلام على خير البرية والأنام، سيدنا محمد بدر التمام، عليه أفضل الصلاة، وأزكى التحية، وأبهى السلام.